# تربية السلوك الإنساني من خلال الإيمان بالغيب

## (مشاهد اليوم الآخر في أرض المحشر أنموذجاً)

د٠ سميرة طاهر نصر (*)

د٠ نهيل علي صالح (*)

**المقدمة :**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أكرم الخلق سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

أرسل الله تعالى رسله بالدعوة للعقيدة الصحيحة، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وعليها يتوقف قبول الأعمال، وسعادته والنجاة في الآخرة، ولما كانت العقيدة تقوم على الأمور الغيبية، كان مبناها على التسليم بما جاء عن الله جلّ جلاله، وعن رسوله ﷺ ظاهراً وباطناً، ما عقلناه منها وما لم نعقله.

وبالرغم من وجود هذه المادة الحية والتي أحيت القلوب، وأصلحت السلوك الإنساني، ووجود التجارب الواقعية المثبتة لفاعليتها في تغيير حياة الشعوب، فإن بعض المجتمعات المسلمة باتت تستورد الأدوات والأفكار، وأنماط الحياة الاجتماعية والتعليمية، بالإضافة إلى استيرادها طريقة التعامل مع الإنسان.

وحتى يصل الإنسان إلى التقدم والتميز في الدنيا والآخرة عليه التفكر بقوله تعالى: ﴿**هُدًى لِلْمُتَّقِينَ* الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**﴾ [البقرة: ٢-٣]. وهو ما يميز

---

(*) دكتوراه العقيدة والفلسفة الإسلامية – قسم أصول الدين- كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة اليرموك- الأردن.

(*) دكتوراه التربية الإسلامية – قسم الدراسات الإسلامية – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة اليرموك- الأردن.

المسلمين الذين يؤمنون بما جاءت به العقيدة الإسلامية، أنهم آمنوا بهذه العقيدة، عقيدة الغيب، ولا شك أن في أمة الإسلام خمائر العلوم النفسية والاجتماعية بدءاً من مرحلة التنشئة والتربية بكل أبعادها، فهي الأحق بالاتباع، وبخاصة أنها ممتلكة للنص وللتجربة الحضارية التي تؤهلها لمعاودة النهوض في كل المجالات.

لذلك جاء هذا البحث ليبين مفهوم السلوك الإنساني وأهداف تربيته في الإسلام، من خلال الإيمان الغيب، والإيمان باليوم الآخر، من خلال الكشف عن مضامينه التربوية والنفسية، وأخيرا يعرض الانعكاسات السلوكية للإيمان بمشاهد أرض المحشر، في سبيل تقديم قراءة تربوية هادفة لجوانب من عقيدتنا الإسلامية.

**مشكلة البحث وأسئلته:**

تنبع مشكلة البحث من وجود خلل كبير في سلوكات المسلمين وأخلاقياتهم بالرغم من إيمانهم بالله واليوم الآخر وبقية أركان الإيمان التي تعد جهازاً وقائياً وعلاجياً للمسلم، فمن المؤسف أن بعض المسلمين اليوم يستوردون تربيتهم وتعديل سلوكاتهم من الغرب، والتي تنطلق من عقائد أصحابها وفلسفاتهم، وعليه جاء هذا البحث الذي يسعى للإجابة عن السؤال الرئيس الآتي: ما تربية السلوك الإنساني من خلال الإيمان بالغيب؟ ويتفرع عنه الأسئلة الآتية:

١. ما مفهوم السلوك الإنساني وأنواعه وأهداف تربيته في الإسلام؟
٢. ما مفهوم الغيب، والإيمان باليوم الآخر، ومضامينه التربوية والنفسية؟
٣. ما الانعكاسات السلوكية للإيمان بمشاهد أرض المحشر على شخصية الفرد؟

**أهداف البحث:**

يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١. توضيح مفهوم السلوك الإنساني وأنواعه وأهداف تربيته في الإسلام.

٢. بيان مفهوم الغيب، والإيمان باليوم الآخر، ومضامينه التربوية والنفسية.

٣. الكشف عن الانعكاسات السلوكية للإيمان بمشاهد أرض المحشر على شخصية الفرد.

**أهمية البحث:**

تكمن أهمية هذه البحث في النقاط الآتية:

- يُسهم موضوعه في تربية السلوك الإنساني وتعديله من خلال العقيدة الإسلامية والإيمان بالغيب خاصة، فنحن في أمسّ الحاجة إلى مثل هذه المعالجات الإسلامية في واقعنا المعيش.
- حاجة المكتبة الإسلامية إلى مثل هذا اللون من ألوان الدراسة، فالدراسات العقدية التي تقترن بالتطبيقات التربوية لها أثر كبير في تفعيل حركة المعتقدات الإسلامية في حياة الناس، خاصة في ظل التدهور الأخلاقي، وما يعانيه العالم من مشكلات سلوكية متنوعة.
- يُتوقع أن تفيد نتائج البحث جهات عديدة، مثل المرشدين والجهات التربوية المهتمة بالبرامج الإرشادية، بالإضافة إلى الدعاة والوعاظ لتكون برامجهم ذات فاعلية عالية مقترنة بالواقع التطبيقي.

**منهج البحث:**

استخدمت الباحثتان المنهج الاستقرائي التحليلي، الذي يقوم على استقراء النصوص التي تبين الأحداث الواردة في أرض المحشر كأنموذج للإيمان بعالم الغيب، وتحليلها للخروج بانعكاساتها السلوكية على شخصية الفرد، معتمدين في ذلك على القرآن الكريم والسنة المطهرة وكتب التراث التربوي الإسلامي، وبعض الدراسات النفسية والتربوية التي تثري موضوع الدراسة.

## المبحث الأول

## مفهوم السلوك الإنساني وأهدافه في الإسلام

### المطلب الأول: تعريف السلوك في الإسلام لغةً واصطلاحاً

يأتي الجذر الثلاثي للسلوك "سَلَكَ" بعدة معان لغوية هي:

**الأول:** "الإدخال في الشيء، فأدخلته في الشيء تعني سلكته فيه، وفي التنزيل العزيز: ﴿ **كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ** ﴾ [الشعراء: ٢٠٠]، والله يسلك الكفار في جهنم: أي يدخلهم فيها، وفي التنزيل العزيز: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ﴾ [الزمر :٢١]، ويقال: سلكت الخيط في المخيط، أي أدخلته فيه، والمسلك هو الطريق"[١].

**الثاني:** بمعنى الاستقامة "السلكى الطعنة المستقيمة والأمر المستقيم"[٢]، ويلاحظ المتأمل أن معاني السلوك في اللغة دارت حول الدخول عموماً، وربما أفادت الاستقامة في الأمر.

ونستوحي من هذه المعاني اللغوية إشارة مهمة ألا وهي الأصل في السلوك البشري أن يكون مستقيماً صحيحاً له مسار محدد، لذلك كل ما عدا ذلك انحراف عن جادة الصواب.

وقد تعددت تعريفات السلوك الاصطلاحية ومن ذلك:

عُرّف السلوك بأنه: "تعبير عن التنظيم الداخلي العام الذي هو الشخصية، والعلاقة بين الشخصية والسلوك كالعلاقة بين الشمس وأشعتها"[٣]. أو "هو كل ما يصدر عن الإنسان من قول أو فعل، وما يُتخذ من اعتقاد أو قصد"[٤]. وعدّ بعضهم الاستجابة الكلية التي يبديها الكائن الحي إزاء أي موقف يواجهه تعريفاً للسلوك[٥].

كما أن السلوك هو: "ذلك الجزء من تفاعل الكائن الحي مع بيئته، الذي يتصف بأنه يمكن فيه تحري حركة الكائن الحي أو حركة جزء منه في المكان

وخلال الزمان، الذي ينتج تغيراً قابلاً للقياس في جانب واحد على الأقل من جوانب البيئة"[٦].

ويلاحظ أن التعريفات السابقة اشتملت على عناصر منها: أن السلوك تفاعل بين الكائن الحي وبيئته، ولا بد من توافر شرطين لحدوث موقف سلوكي؛ الأول: وجود طرفين هما الكائن الحي والبيئة، الثاني: وجود علاقة بينهما، وإن من السلوك ما يمكن إدراكه وملاحظته، والحوادث السلوكية كالتفكير والتخيل وغيرها مما نسميه عمليات عقلية تعدّ سلوكاً.

أما السلوك الإنساني فيعرف في التربية الإسلامية بأنه: هو النشاط الإنساني المستمد من الكتاب سواءً كان ملاحظاً كالصلاة والصيام، أو غير ملاحظ كالنية[٧].

وقد أشار الشريفين في دراسته أن الباحثين كان لهم اتجاهات متعددة في تعريف السلوك[٨]، منها:

الاتجاه الأول: تعريف السلوك الإنساني على أنه أخلاق الفرد وتعامله مع الآخرين، وهذا لا يصح لأنه غير جامع، فقد يكون سلوكاته خلقياً أو غير ذلك.

الاتجاه الثاني: تعريف السلوك بأنه ما يقوم به الفرد ويظهر للآخرين، أي السلوك الظاهر فقط، وهذا لا ينسجم مع ديننا الحنيف، فالإسلام يحاسب على السلوك الظاهر الملاحظ وغير الملاحظ.

الاتجاه الثالث: تعريف السلوك بالظاهر وغير الظاهر وهذا أجمع.

**المطلب الثاني: أنواع السلوك الإنساني:**

تشير أدبيات السلوك الإنساني إلى تعدد الاعتبارات في تقسيم أنواع السلوك الإنساني وفق حيثيات كثيرة، ومن ذلك:

١. السلوك الوراثي والسلوك المكتسب بحسب أصل طبيعته[٩].
٢. السلوك الظاهري والباطني بحسب إمكانية ملاحظته [١٠].
٣. السلوك الهادف وغير الهادف بحسب الهدف منه[١١].

مع وجود هذا التعدد في الأنواع والاعتبارات، فإن الأهمية تتمحور حول مدى تقبل الإنسان لتعديل سلوكه وتربيته، وهذا يحتاج إلى توجيهات ومرشدات، وكما يقول الكيلاني: "حتى تتمكن من التغيير في السلوك لا بد من التأثير على مكونات هذا السلوك، فهو قصد وحركة وإن القصد يتجسد في الفكر والإدارة، والحركة تتجسد في الممارسة العملية، وهذه المكونات السلوكية تنتظم في حلقات ثلاث يولد بعضها بعضاً، فتبدأ الحلقة الأولى في ميدان الفكر، ثم تليها الحلقة الثانية في ميدان الإرادة إلى أن تنتهي إلى حلقة الممارسات العملية خارج الجسد البشري"(١٢).

فالسلوك الصحيح ثمرة الفهم الواعي والعقل الراجح، وهو نتيجة التدريب والمجاهدة، وثمرة للالتزام بأوامر الله تعالى والنظر بهديه، فلا يخضع لوراثة أو بيئة بشكل مطلق مع الاعتراف بهما كعوامل مؤثرة إلا أنّ العنصر الحاسم هو إرادة الفرد واختياره، ودوافعه(١٣).

**المطلب الثالث: أهداف تربية السلوك الإنساني في الإسلام:**

يشير الكيلاني إلى أن التربية الإسلامية هي تغيير في السلوك وتنميته إلى الدرجة التي تُمكّن الإنسان من الإسهام الفعّال في تحقيق حاجات الحاضر ومواجهة تحديات المستقبل، وتسخير موارد البيئة وخبرات الماضي عبر رحلة النشأة والحياة والمصير(١٤).

ولا يمكن أن تتحقق وظائف التربية إلا من خلال العقيدة والشريعة، والتي كانت ثمرة الالتزام بهما هي تربية للمسلم وتحديد لأهدافه وغايته من الحياة، لذا يمكن أن تكون أهداف تربية السلوك في الإسلام الآتي:

- إصلاح علاقة العبد بربه بإصلاح سريرته وعلانيته، وتكوين الرقيب الداخلي ليرتقي سلوكه(١٥).

- إعمار الأرض وهذا لا يحدث إلا إذا انسجمت سلوكات الإنسان مع أوامر الله عز وجل، أي بالسلوك الصحيح الذي يدفعه إلى رضوان الله.
- تحقيق الصحة النفسية والعقلية والجسمية معاً، أي التوازن التام بين جوانب الشخصية الإنسانية فلا يطغى أحدها على الآخر، وقد وضع الإسلام الأساليب الوقائية والعلاجية لضبط السلوك الإنساني التي تتضمن بقاء هذا التوازن(١٦).
- تحقيق الفاعلية والاستقامة وهي تجعل من سلوك الفرد سلوكاً إيجابياً، وبذلك يحقق الخيرية في قوله تعالى: ﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [آل عمران: ١١٠].
- بناء علاقات إيجابية مع الناس والكون ضمن إطار التشريع الإسلامي فيتحقق المجتمع الفاعل الذي تسوده الأخلاقيات الإسلامية، التي تضبط سلوك الفرد وتحافظ على إنسانيته(١٧).

وأرباب الطريق من العلماء والمربين مجمعون على أن مراقبة الله تعالى في الخواطر سبب لحفظها في حركات الظواهر، فمن راقب الله في سره حفظه الله في حركاته في سره وعلانيته. والمراقبة هي التعبد باسمه الرقيب الحفيظ العليم السميع البصير، فمن عقل هذه الأسماء وتعبد بمقتضاها حصلت له المراقبة، والله أعلم(١٨).

* *

## المبحث الثاني
## مفهوم الغيب والإيمان باليوم الآخر
## ومضامينه التربوية والنفسية

### المطلب الأول: مفهوم الإيمان بالغيب وفضله:

**أولاً: مفهوم الإيمان بالغيب:**

جاء في معجم مقاييس اللغة: "الغين والياء والباء أصلٌ صحيح يدلُّ على تستُّر الشيء عن العُيون"[١٩]. ولذا فإن ضابط الفرق بين عالم الغيب وعالم الشهادة الحس، "إذ كل ما غاب عن العباد مما لا يعلمونه ولا يحسون به ولا يدركونه فهو غيب، وكل ما علموه أو حضروه أو أدركوه فهو من عالم الشهادة"[٢٠].

قال ابن عاشور: "الغيب ما لا يدرك بالحواس مما أخبر الرسول صريحاً بأنه واقع أو سيقع ، مثل وجود الله وصفاته ووجود الملائكة والشياطين وأشراط الساعة ومما استأثر الله بعلمه" [٢١]، ونقل ابن كثير عن ابن عباس قوله : "الغيب : كل ما أمرت بالإيمان به فيما غاب عن بصرك مثل الملائكة والبعث والجنة والنار والصراط والميزان" [٢٢]. ومن هنا نعرف بأن الغيب ليس هو ما يقابل الواقع: لأن الغيب واقع أيضاً. وليس كما قال بعض المفسرين ... المعدوم، وعالم الشهادة الموجود، فكلاهما عالم قائم موجود وإنما يعرف الإنسان الثاني ويجهل الأول[٢٣].

**ثانياً: فضل الإيمان بالغيب :**

وردت الكثير من النصوص التي تمتدح المؤمنين بإيمانهم بالغيب ، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٤٩].

يقول ابن عاشور: "خص بالذكر الإيمان بالغيب دون غيره من متعلقات الإيمان؛ لأن الإيمان بالغيب، أي ما غاب عن الحس، هو الأصل في اعتقاد ما

تخبر به الرسل عن وجود الله والعالم العلوي، فإذا آمن به المرء تصدى لسماع دعوة الرسول وللنظر فيما يبلغه عن الله تعالى، فسهل عليه إدراك الأدلة "(٢٤).

ومن فضل الإيمان بالغيب خوف المؤمن وخشيته من الله والتي يحصل بها الأجر والخير العظيم؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[الملك:١٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: ١١]. وقد جاء في الظلال: "الإيمان بالغيب هو العتبة التي يجتازها الإنسان، فيتجاوز مرتبة الحيوان الذي لا يدرك إلا ما تدركه حواسه، إلى مرتبة الإنسان الذي يدرك أن الوجود أكبر وأشمل من ذلك الحيز الصغير المحدود الذي تدركه الحواس ... ، وهي نقلة بعيدة الأثر في تصور الإنسان لحقيقة الوجود كله ولحقيقة وجوده الذاتي، ويشعر أن مداه أوسع في الزمان والمكان من كل ما يدركه وعيه في عمره القصير المحدود" (٢٥).

فالغيب يصل الإنسان بالوجود كله، ظاهره وخفيه، ما يعلم منه ويبصر، وما لا يعلم ولا يبصر، فيربطه بالكون بماضيه وحاضره ومستقبله في تناغم وتوافق عميقين(٢٦)، لذلك نجد تأثير الإيمان بالغيب عظيمًا في حياة المؤمن، فيورث قلبه توجهًا وإقبالًا، وسلوكه طاعة واتباعاً، ونفسه طمأنينة وسكينة.

**المطلب الثاني: مفهوم الإيمان باليوم الآخر ومشاهده:**

والمقصود بالإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما أخبر به الله عز وجل في كتابه العزيز ، وما أخبر به رسوله ﷺ ، مما يكون من البعث والحشر والصحف والحساب والميزان والحوض والصراط والشفاعة والجنة والنار، جاء في الطحاوية : "ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة، والعرض والحساب وقراءة الكتاب، والثواب والعقاب، والصراط والميزان" (٢٧).

قال ابن حجر رحمه الله في سبب تسميته باليوم الآخر: "وأما اليوم الآخر فقيل له ذلك لأنه آخر أيام الدنيا، أو آخر الأزمنة المحدودة"(٢٨). وعلى هذا فالمراد باليوم الآخر أمران: الأول: فناء هذه العوالم كلها وانتهاء هذه الحياة

بكاملها، الثاني: إقبال الحياة الآخرة وابتداؤها، فدل لفظ (اليوم الآخر) على آخر يوم من أيام هذه الحياة و على اليوم الأول والأخير من الحياة الثانية، إذ هو يوم واحد لا ثاني له فيها البتة(٢٩).

ولأهميَّة هذا اليوم العظيم؛ نجد أن الله تعالى كثيرًا ما يربط الإيمان به بالإيمان باليوم الآخر؛ كما قال تعالى : ﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**﴾ [البقرة: ١٧٧] ، وكقوله تعالى: ﴿ **ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ** ﴾ [الطلاق: ٢]... إلى غير ذلك.

أما مشاهد اليوم الآخر بالترتيب فهي: النفخ في الصور، ثم البعث، ثم الحشر، ثم الحساب، ثم الميزان، ثم الحوض ، ثم الصراط ، ثم الجنة والنار.

**المطلب الثالث: مضامين الإيمان بالغيب واليوم الآخر التربوية والنفسية:**

أكد القرآن الكريم على قضية الإيمان بالغيب وباليوم الآخر، وإثبات البعث والحساب والجزاء، لما في معرفة الإنسان لها من خير وفير، فهناك هوة كبيرة بين سلوك من يؤمن باليوم الآخر ومن لا يؤمن به، كالهوة بين الحياة القصيرة الزائلة والحياة الأبدية الممتدة.

إن الإيمان بالله واليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب هو الموجه الحقيقي لسلوكِ الإنسانِ، وليس هناك أي دستور بشري يستطيع أن يجعل سلوك الإنسان سويًا مستقيمًا كما يصنعه الإيمان باليوم الآخر، لذا عظمت المضامين التربوية والنفسية المستنبطة منه، فيكتفى في هذا البحث بالإشارة إلى بعضها، ممثلة بالنقاط الآتية:

**أولاً:** مضمون التعظيم والتسليم: إن تربية السلوك من خلال الإيمان بالغيب تعظيم لله تعالى، وقبول ليس له مثيل بعالم حقيقي أصبح كعالمه المحسوس الذي

يراه من أثر اليقين، وتعظيم مقام الله تعالى يورث التسليم لله بالحقائق الشرعية، ويستلزم تعظيم طاعته والابتعاد عن معصيته.

**ثانياً:** مضمون الدافعية والحافز: فمن أعظم المضامين التربوية للإيمان بالغيب أنه يعد الدافع الأكبر للسلوك السليم والصحيح، والمحفز الأكبر إلى المسارعة في الخيرات وأعمال البر، والمحفّز الأكبر لإصلاح الحاضر وانتظار المستقبل بكفاءة وفاعلية.

**ثالثاً:** مضمون الأخلاق والاستقامة: حيث إن الإيمان بالغيب ضرورة أخلاقية، إذ في الآخرة تتم التفرقة بين الصالح والطالح والمحسن والمسيء ومجازاة كل واحد بحسب عمله واستحقاقه، أما الدنيا فليست بدار جزاء كما هو مشاهد معلوم[٣٠].

فكل فضائل الإنسان من الصبر على المكاره والجهاد في سبيل الزوجة والولد والأمة والوطن وإسداء المعروف وسائر أعمال البر، لا يبعث النفس عليها إلا الإيمان بالله وبالجزاء على الأعمال في حياة خير من الحياة الدنيا [٣١].

**رابعاً:** مضمون التمحيص والفروق بين البشر: الإيمان بالآخرة هو مفرق الطريق بين صنفين من البشر: صنف يرى أن الدنيا مجرد مرحلة تمهد لما بعدها، وصنف يرى أن الحياة تنتهي بموت الإنسان[٣٢].

وفي هذا يقول سيد قطب: "الغفلة عن الآخرة تجعل كل مقاييس الغافلين تختل وتؤرجح في أكفهم ميزان القيم، فلا يملكون تصور الحياة وأحداثها وقيمها تصوراً واضحاً، ويظل علمهم بها ظاهراً سطحياً ناقصاً؛ لأن حساب الآخرة في ضمير الإنسان يغير نظرته لكل ما يقع في هذه الأرض"[٣٣].

خامسًا: مضمون الوسطية في الاهتمام: فمن مقاصد الدين أن يقع توازن في اهتمام المسلم بين إيمانه بعالم الغيب وبين الاهتمام بعالم الشهادة، وشؤونه الذي هو المجال الأول للنشاط الإنساني، لذلك كان من يعيش وكل همه أمور

الشهادة، ولا يتصل بعالم الغيب إلا نادراً، لم يصدق عليه وصف المتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، وكذلك يتفانى في طلب الغيب، ويجعل كل ذلك كل همه ، يوشك أن ينسى المهمة الأساسية للإنسان في هذه الحياة، وهي عمارة الأرض(٣٤).

سادسًا: مضمون التخلص من خطر العقلانية المطلقة على العقل: العقلانية المطلقة تؤدي إلى تعثر العلم؛ لأن من شأنها أن تضع إطارا للعلم ضمن حدود عالم الشهادة، الأمر الذي يؤدي إلى توقف عجلة البحث والتطوير، فإن العلم بحاجة إلى حرية وإلا سيقع أسير نفسه.

ذلك أن الإيمان بعالم الغيب ينشئ شعوراً بسعة الوجود وتنوع الموجودات وأهمية العالم المجهول .. وهذا يؤدي إلى تشكيل عقلية مرنة(٣٥).

**

## المبحث الثالث

## مشاهد أرض المحشر

## وانعكاساتها السلوكية على شخصية الفرد

ويقصد بأرض المحشر هي أرض الشام، فيحشر الناس إلى الشام في آخر الزمان وهي أرض المحشر كما جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة: منها ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما في ذكر خروج النار وفيه (قال: قلنا يا رسول الله فماذا تأمرنا؟ قال: عليكم بالشام)[٣٦]، وروى الإمام أحمد قوله ﷺ: (هاهنا تحشرون، هاهنا تحشرون، هاهنا تحشرون - ثلاثاً - ركباناً، ومشاة، وعلى وجوهكم)، قال ابن أبي بكير: فأشار بيده إلى الشام فقال: إلى هاهنا تحشرون[٣٧].

والسبب في كون أرض الشام هي أرض المحشر أن الأمن والإيمان حين تقع الفتن في آخر الزمان يكون بالشام. وقد جاء في فضله والترغيب في سكناه أحاديث صحيحة، وقد دعا رسول الله ﷺ للشام بالبركة كما ثبت في الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: (اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا)[٣٨].

ومشاهد أرض المحشر بالترتيب هي: الحشر، ثم العرض والحساب، ثم الميزان، ثم الحوض، ثم الصراط، وفيما يأتي بيانها وبيان انعكاساتها السلوكية على شخصية المسلم:

**المطلب الأول : الإيمان بالحشر وانعكاساته السلوكية على شخصية الفرد:**

**أولاً : مشهد الحشر:**

يكون الحشر بعد البعث وقد أخبر النبي ﷺ أن أرض المحشر أرض مستوية غير هذه الأرض التي نعيش فيها ، جاء في الحديث: (يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي)[٣٩]، والناس يحشرون حفاة

عراة غرلاً، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث: (إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً، ثم قرأ: ﴿ **يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾ [الأنبياء: ١٠٤](٤٠).

والحشر يكون لجميع الخلائق: الإنس والجن والملائكة من الأولين والآخرين لقوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ* لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ**﴾ [الواقعة: ٥٠]، وحتى البهائم محشورة كذلك على الرأي الراجح، قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ**﴾[التكوير: ٥].

ويطول الموقف في الحشر كما أخبر الله سبحانه في كتابه: ﴿ **تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**﴾[المعارج: ٤]، ويشتد الفزع على أهل الموقف، قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ**﴾ [الحج: ٢]، ﴿**يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ* وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ*وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ*وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ**﴾ [المعارج: ١١-١٤].

**ثانياً: الانعكاسات السلوكية للإيمان بمشهد الحشر:**

- تربية سلوك التجبر بالاستسلام التام لله تعالى والاعتراف بقدرته وعظمته، كيف لمسلم أيقن أن ربه سيجمع الخلائق جميعاً في أرض واحدة، وسيحاسبهم واحداً واحداً، فلا يستسلم لعظمة خالقه، ويطيع أوامره.
- تربية سلوك الكبر بالتواضع، فالناس ستحشر حفاة عراة غرلاً، أي كحالة خلقهم الأولى، فما جمعه البشر في حياتهم من مناصب علمية وإدارية، من مال وعقارات وشركات، من جاه وحسب، كل ذلك وهم سيزول، فلا يبقى سوى أعمال الخير والبر للموحدين يرتقون بها، بعد هذه المعرفة لن تَعظُمَ الدنيا لإنسان أدرك صفة هذا الحشر.

▪ تربية سلوك الظلم بالعدل، فالخالق جل وعلا يحشر الخلائق على أرض بيضاء عفراء، مستوية، نقّاها من الظلم والجرائم وبسطها ليتساوى الخلق منتظرين حسابهم، يتفكر الإنسان، هل ظلم؟ هل سيظلم وهو لا يملك شيئاً؟ هل صفحته بيضاء؟ هل معاملته لمرؤوسيه عادلة؟ هل أكل مال أحدهم بالباطل؟ هل نقّى حياته العلمية من الغش والرشوة؟ هل نظّف صحيفته من الجرائم والآثام؟ أسئلة كثيرة ينبغي أن يعد لها إجابة.

▪ تربية سلوك العشوائية بالجدية، فالموقف طويل، والأحداث فيها دقة، ليست لحظات، وليست إعلان سريع للنتائج، بل موقف يطول، ومشهد يتطلب إعداداً جدياً، فمدة الامتحان توحي بكمية الأسئلة، خمسون ألف سنة، فلا يجدر بالإنسان إلا أن يحسب الثواني التي في حياته أو حتى الأنفاس لمثل هذا الموقف.

▪ تربية سلوك إعلاء روابط النسب بإعلاء روابط الدين، فالعاقل من يقرأ ويتدبر، فزع شديد، وخوف من النار، خوف من الحساب، ينسيه روابط النسب، فالمرضعة تنسى رضيعها، والمجرم يفتدي نفسه ببنيه وزوجته، فيتذكر اللحظات التي عصى الله بها لأجل هؤلاء، ويتذكر أنهم ألهوه عن ذكر الله، وأنه سرق وكذب وغش لأجلهم، فأين ذهبوا في هذا الموقف؟ لو تسنّى له أن يقدم كل من على الأرض لأجل نجاته من العذاب لفعل، هنا يصل المسلم إلى الحقيقة التي يجب أن يعيش لها، وهي أن طاعة الله ورسوله ﷺ فوق كل شيء.

**المطلب الثاني: الإيمان بالشفاعة وانعكاساتها السلوكية على شخصية الفرد:**

**أولاً: مشهد الشفاعة:**

ويقصد بالشفاعة : شفاعة النبي ﷺ لأهل الموقف ببدء الحساب(٤١). وذلك حينما يشتد الموقف على الناس ويطول عليهم في أرض المحشر، فيذهب الناس إلى الأنبياء والرسل ليشفعوا لهم عند الله ببدء الحساب، فيعتذر الأنبياء

والرسل عن الشفاعة إلا محمدًا ﷺ، فيشفع للخلق كلهم مؤمنهم وكافرهم ببدء الحساب.

جاء في حديث الشفاعة: (إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض، فيأتون آدم، فيقولون: اشفع لذريتك، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بإبراهيم، فإنه خليل الله...، فيؤتى عيسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بمحمد، فأوتي فأقول: أنا لها، ثم أنطلق فأستأذن على ربي، فيؤذن لي، فأقوم بين يديه، فأحمده بمحامد لا أقدر عليها إلا أن يلهمنيها، ثم أخر لربنا ساجداً، فيقول: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع لك...) (٤٢).

**ثانياً: الانعكاسات السلوكية للإيمان بمشهد الشفاعة:**

▪ تربية سلوك الجحود بالاعتراف لأهل الفضل، فالموقف شديد وطويل، يبحث الناس وقتها عن أهل الفضل، ومن لها إلا أنبياء الله ورسله، هم ذاتهم الأنبياء الذين لم يعترف الأقوام بهم، ولم يصدقوهم، وعذبوهم، هنا يتأمل المسلم حاله، هل يعترف الآن لأهل الفضل بفضلهم؟ هل يذكر محاسن غيره؟ هذا كفيل بتعديل سلوك الجحود وانتقاص البشر، بفضل الأنبياء والصحابة والسلف والعلماء والقادة والمحسنين، فقد انتشر النكران والسباب حتى كان ظاهرة واضحة في زمننا هذا.

▪ تربية سلوك العجز بالإنجاز من خلال التقرب إلى الله تعالى، فمن كان لله أقرب يوم القيامة كانت منزلته أفضل وأعلى، فسيد الخلق ﷺ يشفع لجميع الخلائق، وليس فقط لأمته، وما هذا الشرف إلا لقربه من خالقه، وذلك دافع للمسلم حتى يتقرب لله تعالى فتعلو منزلته، ويسلم من هذا الموقف العظيم.

▪ تربية المسلم على محبة الله تعالى ورسوله ﷺ، محبته لربه الرحمن الرحيم الذي أذن بهذه الشفاعة، ومحبته لرسوله ﷺ بسبب أخلاقه العظيمة،

وحبه لمن يعرفهم ومن لا يعرفهم، وبذله وعطائه حتى في هذا الموقف، وهذه المحبة تترجم عند المسلم بالتزام سنته حتى يستحق شرف الشفاعة.

- ضبط موضوع الشفاعة والوساطة في الدنيا عند المسلم، فلا يجب استخدام الجاه والمكانة لمساعدة الناس فيما يحل حراماً ويحرم حلالاً، أما ما نراه من ممارسات الوساطة التي تضيع الحقوق، وتغير الموازين الصحيحة، فهذا كله من الباطل الذي لا ينبغي للمسلم فعله.

**المطلب الثالث: الإيمان بالحساب وانعكاساته السلوكية على شخصية الفرد:**

**أولاً: مشهد الحساب:**

ويراد بالحساب: أن يوقف الحق سبحانه عباده بين يديه ويعرفهم بأعمالهم التي عملوها وأقوالهم التي قالوها، وما يستحقونه على ما قدموه من إثابة وعقوبة، وإيتاء كتبهم بأيمانهم إن كانوا صالحين، وبشمالهم إن كانوا طالحين. ويشمل الحساب ما يقوله الله لعباده، وما يقولونه له، وما يقيمه عليهم من حجج وبراهين وشهادة الشهود ووزن الأعمال[٤٣].

وأول ما يحاسب عليه العبد الصلاة، قال ﷺ: ( إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيئاً قال الرب تبارك وتعالى: "انظروا هل لعبدي من تطوع" ، فيكمل بها ما انتقص من الفريضة، ثم يكون سائر عمله على ذلك)[٤٤]. ويعد هذا من الحساب الفردي، أما الحساب الجماعي بين الخلائق، فإن أول ما يقضى به بينهم الدماء ، كما جاء في الحديث الصحيح: (أول ما يقضى بين الخلائق يوم القيامة في الدماء ) [٤٥].

والحساب على نوعين: يسير وهو العرض، جاء في الصحيح عن عائشة – رضي الله عنها – عن النبي ﷺ: ( ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك، فقلت: يا رسول الله، أليس قد قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ

فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧-٨]، فقال رسول الله ﷺ: إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا هلك)[٤٦].

والمراد بالعرض: عرض ذنوب المؤمنين عليهم، كي يدركوا مدى نعمة الله عليهم في غفرانها[٤٧]. وقد جاء في الحديث عن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ: ( إن الله يدني المؤمن، فيضع عليه كنفه، ويستره. فيقول: أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته)[٤٨].

والنوع الثاني من الحساب هو الحساب العسير، ويكون للكافر والمنافق، ويشدد عليهم في المحاسبة، وتنطق الجوارح فتشهد بما عملوا، عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: ( يلقى الرب العبد فيقول: أي فل - يعني فلان - ألم أكرمك وأسودك وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع، فيقول: بلى، قال: فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما تنساني،... ثم يلقى الثالث، فيقول له مثل ذلك. فيقول: يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت، ويثني بخير ما استطاع، فيقول: ههنا إذن، قال: ثم يقال له: الآن نبعث عليك، ويتفكر في نفسه، من ذا يشهد علي؟ فيختم الله على فيه، ويقال لفخذه ولحمه وعظامه: انطقي، فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق الذي يسخط الله عليه)[٤٩].

وفي الحساب تكون المقاصَّة من المظالم بين العباد، وقد جاء في حديث المفلس قوله ﷺ: (أتدرون من المفلس؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد ضرب شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب

هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أخذت من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار)(٥٠).

وتحدث المقاصة أيضاً بين البهائم، وذلك إتماماً للعدل وتحقيقاً له، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: ( يقتص الخلق بعضهم من بعض حتى الجمَّاء من القرناء، وحتى الذرة من الذرة )(٥١).

ويختم مشهد الحساب بتطاير الصحف واستلام الخلق لصحائف أعمالهم، فأما المؤمن فيستلم صحيفته بيمينه، وأما الكافر فيستلمها بشماله، ويصور القرطبي مشهد الحساب قائلاً: "فتوهم نفسك إن كنت من السعداء ، وقد خرجت على الخلائق مسرور الوجه، قد حل بك الكمال والحسن والجمال، كتابك في يمينك، أخذ بضبعيك ملك ينادي على رؤوس الخلائق: هذا فلان بن فلان، سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا. وأما إن كنت من أهل الشقاوة، فيسود وجهك وتتخطى الخلائق كتابك في شمالك أو من وراء ظهرك، تنادي بالويل الثبور، وملك يأخذ بضبعيك ينادي على رؤوس الخلائق: ألا إن فلان بن فلان شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبداً"(٥٢).

**ثانياً: الانعكاسات السلوكية للإيمان بمشهد الحساب:**

- تنعكس مشاهد العرض والحساب على سلوك المسلم بصفات الدقة والانضباط أثناء اختيار السلوك الذي يقوم به في الحياة الدنيا، إذ إن أهون المشاهد الموجودة في موقف الحساب، هو مشهد المؤمن مع ربه، ومع ذلك فهو مشهد صعب لمّا يتخيله المسلم، فلو جربنا كتابة أعمال يوم واحد على سبيل المثال، وعرض الورقة أمام عزيز علينا، لما تحملنا هذا العرض، ومن يتفكر بدقة بهذا المشهد، فسوف ينعكس بالمحاسبة الدقيقة والرقابة الذاتية.
- استشعار الإنسان محبة الله لعبده المؤمن، فيزداد محبة لله، واستشعاره لحيائه من الله بسبب تلك الذنوب التي لا تساوي شيئا.

▪ الترتيب والتنظيم لأفعال البشر، فليست كلها على مرتبة واحدة بل هي في سلم، بعضها مهم، وبعضها أهم وهكذا، فهي مراتب ودرجات، فيتعلم المسلم إعلاء الأفعال التي جعلها خالقه أعلى شأناً، فالصلاة على الإطار الفردي، وحفظ الدماء على الإطار الجماعي أعلاها وأولاها، وهذا لا يعني ترك بقية الأوامر، بل الانتباه لسبب التشديد عليها، وتأثيرها على بقية السلوكيات.

▪ التربية السلوكية الاجتماعية، حيث جعل الله تعالى مشهداً خاصاً بالمقاصة بين العباد في المظالم، بل بين الخلائق جميعاً، إحقاقا للحق والعدل، وهذا من شأنه أن يوقف عجلة الأنانية والظلم بين البشر، فكل منا لا يريد أن يفلس، ولا يريد أن ينقص رصيده الآخروي بسبب مظالمه للعباد، فإذا أردنا الاحتفاظ بتلك الأرصدة وصلنا بعضنا وكففنا شرنا عن الآخرين.

▪ تنمية مهارة التخيل، فتصحيح السلوك بتخيل الوعد الإلهي عند سلوكه طريق الخير، ذلك المشهد الذي يتلقى كتابه بيمينه وهو من أسعد السعداء، مشهد مهيب يشعر الإنسان بالأمل، ويشعره بنتيجة صبره، وهي الفوز بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وبذات الوقت تخيل الوعد الإلهي عند سلوك طريق الشر، ذلك المشهد المخيف والمخزي، لمّا يخرج بين الخلائق حاملاً كتابه بشماله أو من وراء ظهره.

**المطلب الرابع: الإيمان بالميزان وانعكاساته السلوكية على شخصية الفرد:**

**أولاً: مشهد الميزان:**

ويقصد بالميزان: ميزان حقيقي ذو كفتان ولسان وليس كموازين الدنيا، إنما ميزان يليق بالآخرة وأحوالها(٥٣) قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، يقول القرطبي: "وإذا انقضى الحساب كان بعده وزن

الأعمال؛ لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقدير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها" [٥٤].

ومما يوزن في الميزان الإنسان وأعماله على الرأي الراجح[٥٥] فعن عبدالله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – عن النبي ﷺ قال: ( توضع الموازين يوم القيامة، فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة، ويوضع ما أحصي عليه، فيمايل به الميزان، قال: فيبعث به إلى النار. قال: فإذا أدبر، إذا صائح من عند الرحمن عز وجل يقول: لا تعجلوا، فإنه قد بقي له، فيؤتى ببطاقة فيها لا إله إلا الله، فتوضع مع الرجل في كفة حتى يميل به الميزان ) [٥٦]. وقد أخبر النبي ﷺ أن ساقي عبدالله بن مسعود تزنان عند الله جبل أحد، وذلك حينما ضحك الصحابة – رضوان الله عليهم – من دقتهما، فقال: ( والذي نفسي بيده، لهما أثقل في الميزان من أحد)[٥٧].

**ثانياً: الانعكاسات السلوكية للإيمان بمشهد الميزان:**

- استشعار كمال إحقاق الحق والعدل الإلهي، حيث توزن الأعمال لإظهار مقاديرها، فقمة العدل كيل الأعمال دون نقصان، والله أعلم بها قبل أن تكون، وبذلك يضبط المسلم موازينه في الدنيا، ويحرص على العدل في أموره، وتحمل المسؤولية ليأخذ جزاءه كاملاً.

- التربية باليقين، فالميزان حقيقي كما يليق بالآخرة وأحوالها، ليس فيه تأويل ولا كناية، فعالم الغيب الذي أخبرنا عنه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، عالم حقيقي يقيني نؤمن به كما ورد.

- يتعلم المسلم أن قيمته ومكانته بما يقدمه لدينه وأمته، فالوزن المذكور يظهر القيمة الحقيقية للفرد، إذ إن المعايير الدنيوية في الحكم على الأشخاص، مثل الجمال، والمال، والحسب، والعائلة، والبلد، والمركز، والحكم، والشهرة، ليست موجودة في عالم الآخرة، هنا يأتي تعديل المعايير التي لا وزن لها إن كانت مخالفة لأوامر الله تعالى.

**المطلب الخامس: الإيمان بالحوض وانعكاساته السلوكية على شخصية الفرد:**

**أولاً: مشهد الحوض:**

وهو حوض في الموقف، خاص بالنبي ﷺ، ماؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل وريحه أطيب من المسك، وكيزانه – أي آنيته – كنجوم السماء، ترد عليه أمة المصطفى صلى الله عليه وسلم، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً[٥٨]. والراجح بين العلماء أن الحوض يأتي قبل الصراط [٥٩].

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ( إني فرطكم على الحوض، من مرَّ علي شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً، ليردنَّ علي أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم، فأقول: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً لمن غيَّر بعدي)[٦٠].

**ثانياً: الانعكاسات السلوكية للإيمان بمشهد الحوض:**

- التربية بالتكريم والتحفيز، فللحوض مواصفات عظيمة (آنيته، وماؤه، ولونه) كل هذا قبل الجنة، فكيف حال الجنة؟ هذا في أرض المحشر، فلم يبدأ النعيم بعد، ومع ذلك يمتاز بكل هذه المواصفات.

- يكتسب المسلم صفة العزة والافتخار وبانتمائه إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وكم هي ذلته في ابتعاده عن سنة الرسول ﷺ، فصلته بهذه الأمة فخرٌ لهُ، فعليه أن يقوم بحق هذه الصلة، فتنمو عقيدة الولاء والانتماء للدين وللأمة، أما إن ابتعد عن المنهج فسحقاً له، وهي ذلة ما بعدها ذلة.

- الالتزام بسنة رسول الله ﷺ قراءة وتطبيقاً، والاعتزاز بتطبيقها لأنها سنة، وعدم تركها لأنها سنة، والبحث عن المهجور منها لأنها سنة، وهذا يعد حصناً لسلوكه فلا يتهاون في السنن، فكيف بالفرائض؟

**المطلب السادس: الإيمان بالصراط وانعكاساته السلوكية على شخصية الفرد:**

**أولاً: مشهد الصراط**

يعرّف الصراط: بأنه جسر يضرب على جهنم، يعبر منه المؤمنين إلى الجنة، ويكون بينهم المنافقون، فيفترقون عنهم، ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم(٦١).

فعن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: "يجمع الله الناس يوم القيامة،.. فيعطون نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم من يعطى نوره فوق ذلك، ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطى دون ذلك بيمينه، حتى يكون آخر من يعطى نوره على إبهام قدمه، يضيء مرة ويطفأ مرة، إذا أضاء قدّم قدمه، وإذا طفئ قام، قال: فيمر ويمرون على الصراط، والصراط كحد السيف، دَحْضٌ، مزَلة، فيقال لهم: امضوا على قدر نوركم، فمنكم من يمر كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كشد الرجل، يرمل رملاً، فيمرون على قدر أعمالهم، حتى يمر الذي نوره على إبهام قدمه، تخر يد، وتعلق يد، وتخر رجل وتعلق رجل، وتصيب جوانبه النار، فيخلصون، فإذا خلصوا، قالوا: الحمد لله الذي نجانا منك بعد أن أراناك، لقد أعطانا الله ما لم يعط أحدًا"(٦٢).

ويضاء للمؤمنين دون المنافقين، ويضرب بينهم بسور يفصلهم عنهم، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ**﴾ ( سورة الحديد:١٣)، والعلماء على أن الكفار والمشركين لا يعبرون الصراط أصلاً، وإنما يزج بهم في النار قبل عبوره(٦٣).

**ثانياً: الانعكاسات السلوكية للإيمان بمشهد الصراط:**

- إدراك الفروق الفردية بين سلوكيات البشر على حقيقتها اليقينية، فإذا ما الإنسان رأى حال البشر في هذه الدنيا وانقلاب الموازين في هذا الزمان، تطلع إلى تلك الفروق التي أحقها الله في الآخرة، إنسان متفوق ملتزم بمنهج صحيح، لم يكن له شهرة في الدنيا، ولم يرتقِ في المناصب، يعرف أن الفروق الحقيقية في الآخرة لا تزيغ، هذا نوره كالجبل وهذا كالنخلة وهذا دون ذلك، كل بحسب عمله واجتهاده وتحقيقه للعبودية والاستخلاف وفق المنهج الحق.
- معادلة السلوك البشري المحصلة من هذا المشهد مهمة جداً في إدراك المصير وفي تصحيح العمل، وهي: صحة السلوك وعدده = حجم النور الذي يضيء الصراط الخاص به = مقدار السرعة في عبور الصراط، وهذه المعادلة تعني:

مثال (١): سلوك ملتزم بشرع الله = نوره مثل الجبل = سرعة كانقضاض الكوكب.

مثال (٢): سلوك متهاون بشرع الله = نوره على إبهام قدمه = السرعة بطيئة جداً (تخر يد وتعلق يد، تخر رجل وتعلق رجل).

- تربية موالاة الإنسان للأشخاص إن خالفوا منهج الله بالبراءة منهم، فالمنافق طريقه مظلم، أراد التماس النور بأعماله الزائفة، لكن هيهات، فقد ضرب الله بينه وبين نور المؤمنين بسور، وأي سور؟ فهذه براءة المسلم من المنافق من جهة، وتنقية سلوكه من النفاق من جهة أخرى.

- يكتسب سلوك المسلم الاعتدال وعدم التضخم، فكثير من مشكلات الإنسان المعاصرة سببها التضخيم الزائد، فهموم الآخرة أولى أن يعتنى بها، وهي أشد وأعظم، وكل ما عداها هيّن، فتلك المصيبة، وذلك الابتلاء، وفقدان وظيفة أو ولد، ونقص المال، كل ذلك هيّن في ظل اتباع منهج الله، فيكون الإنسان صابراً محتسباً مقبلاً، وسيكون الخير بعد ذلك خيراً أبدياً. فنصب عيني المسلم همّ أعظم، فمن زحزح عن النار فقد فاز.

**الخاتمة:**

توصلت الباحثتان من خلال البحث إلى النتائج الآتية:

- أولى الإسلام موضوع تربية السلوك وتعديله عناية كبيرة من خلال عدة وسائل أهمها تثبيت العقائد الصحيحة التي توضح حقيقة الإنسان والكون والحياة.
- كشفت الدراسة عن الانعكاسات السلوكية الفردية والجماعية، النفسية والاجتماعية والتربوية لهذه المشاهد العظيمة، والتي من شأنها تربية سلوك الإنسان، والمشاهد السابقة في البحث واحد من نماذج كثيرة مستقاة من عقيدتنا الإسلامية.

أما أهم التوصيات، فتوجز بالآتي:

- أن تكون هناك دراسات تأصيلية متعمقة للجوانب المتعلقة بالإنسان، ووسائل تربيته وتهذيب سلوكه المنطلقة من منابع الإسلام، حتى يرجع المسلم إلى مشاربه الدينية الأصيلة ليستقي حلولاً تناسب طبيعته التي خلقه الله عليها.
- تفعيل مادة العقيدة الإسلامية ومضامينها التربوية والنفسية بكل فروعها في حياة الأفراد والمجتمعات، وذلك عن طريق إدخالها في المناهج التعليمية، لعلها تكون وسيلة بناءة لمعالجة الظواهر السلوكية الدخيلة على مجتمعاتنا للمحافظة على قيمنا ومبادئنا الرفيعة.

* *

**قائمة المراجع:**


- أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، عبد الحميد الزناتي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، د. ت.
- الإسلام وقضايا علم النفس الحديث، نبيل محمد توفيق السمالوطي، دار الشروق، جدة ، ط١، ١٩٨٠م.
- آفاق إسلامية في السلوك التربوي، أحمد عبد الرحيم السايح، مجلة التربية، قطر، العدد١٢٤، ١٩٩٨م.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس، د.ط، ١٩٩٧م.
- التذكرة في أحوال الموتى و أمور الآخرة، محمد بن أحمد القرطبي، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، د ط، د ت.
- تعديل السلوك الإنساني في التربية الإسلامية، عماد عبد الله الشريفين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠٠٢م.
- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ.
- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت ط ٢ .
- خصائص التربية الإسلامية ودورها في مكافحة الجريمة، مقداد يالجن، الرياض، د. ط، ١٩٨٧م.
- دور التوجيه والإرشاد الإسلامي في مواجهة مشكلات الشباب الجامعي الأردني، عبدالحميد مساعدة، رسالة دكتوراه، جامعة أم الدرمان، ١٩٩٥م .
- السواء في النظريات النفسية والآيات القرآنية، عبد الرحمن سيد سليمان، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق،١٩٩٦م.
- العقيدة الطحاوية، أحمد بن محمد الطحاوي، شرح: ابن أبي العز الحنفي، تخريج أحاديثها: محمد الألباني، المكتب الإسلامي، ط٨، بيروت، ١٩٨٤م.

- علم النفس الإسلامي، رمضان محمد القذافي، صحيفة الدعوة الإسلامية، ليبيا، ط١، ١٩٩٠.
- الغيب والعقل، دراسة في حدود المعرفة البشرية، إلياس بلكا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ط١، ٢٠٠٨.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، ترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩، كتاب الرقاق، باب نفخ الصور، ج١١، ص٣٦٩.
- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٥٩م.
- لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، بيروت، دار الفكر، د.ط، ٧١١هــ، ج١.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هــ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٦م.
- مذكرة تعديل السلوك، نصر العلي، إربد، مكتبة الطلبة الجامعيين، ٢٠١١.
- مفهوم السلوك الخُلُقي من وجهتي نظر الإمام أبي حامد الغزالي وبعض الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة، عبد الله بن أحمد بن محمد العطاس، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٥هــ.
- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٩م.
- النظرية التربوية معناها ومكوناتها، ماجد عرسان الكيلاني، إربد، الرافدين، ط١.
- هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عاشت القدس، ماجد عرسان الكيلاني، ط١، الدار العالمية للكتاب والمعهد العالمي للفكر، ١٩٩٥.


* *

**هوامش البحث**

(١) لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، بيروت، دار الفكر، د.ط، ٧١١هـ، ج١، ص٤٤٢.

(٢) القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٥٩م، ج٣، ص٤١٨.

(٣) السواء في النظريات النفسية والآيات القرآنية، عبد الرحمن سيد سليمان، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق،١٩٩٦م، ص١٣.

(٤) آفاق إسلامية في السلوك التربوي، أحمد عبد الرحيم السايح، مجلة التربية، قطر، العدد١٢٤، ١٩٩٨م، ص٧٨.

(١) مفهوم السلوك الخُلُقي من وجهتي نظر الإمام أبي حامد الغزالي وبعض الاتجاهات النفسية الغربية الحديثة، عبد الله بن أحمد بن محمد العطاس، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٥هـ، ص٢٩.

(٦) مذكرة تعديل السلوك، نصر العلي، إربد، مكتبة الطلبة الجامعيين، ٢٠١١، ص٣.

(٧) انظر تعديل السلوك الإنساني في التربية الإسلامية، عماد عبد الله الشريفين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠٠٢م، ص٨.

(٨) انظر تعديل السلوك الإنساني، الشريفين، ص٥- ص٦.

(٩) الإسلام وقضايا علم النفس الحديث، نبيل محمد توفيق السمالوطي، دار الشروق، جدة ، ط١، ١٩٨٠م، ص٦٢.

(١٠) الإسلام وقضايا علم النفس الحديث، السمالوطي، ص١٢.

(١١) علم النفس الإسلامي، رمضان محمد القذافي، صحيفة الدعوة الإسلامية، ليبيا، ط١، ١٩٩٠م، ص٢١.

(١٢) هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عاشت القدس، ماجد عرسان الكيلاني، ط١، الدار العالمية للكتاب والمعهد العالمي للفكر، ١٩٩٥، ص١٨.

(١٣) انظر تعديل السلوك الإنساني، الشريفين، ص٩

(١٤) النظرية التربوية معناها ومكوناتها، ماجد عرسان الكيلاني، إربد، الرافدين، ط١، ص١٢.

(١٥) أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، عبد الحميد الزنـاتي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، د. ت، ص٧٦٠.
(١٦) خصائص التربية الإسلامية ودورها في مكافحة الجريمة، مقداد يالجن، الرياض، د. ط، ١٩٨٧م، ٣٢-٣٤.
(١٧) دور التوجيه والإرشاد الإسلامي في مواجهة مشكلات الشباب الجامعي الأردني، عبدالحميد مساعدة، رسالة دكتوراه، جامعة أم الدرمان، ١٩٩٥م ، ص٨٢.
(18) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٦م، ج٢، ص٦٦.
(19) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٩م، ج٤، ج٤، ص٤٠٣.
(20) الغيب والعقل، دراسة في حدود المعرفة البشرية، إلياس بلكا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ط١، ٢٠٠٨، ص١١٤.
(21) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس، د.ط، ١٩٩٧م، ج١، ص٢٢٩.
(22) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ، ج١، ص٢٥٦.
(23) الغيب والعقل، إلياس بلكا، ص ١١٤.
(24) ابن عاشور، ج١، ص٢٣٠.
(25) في ظلال القرآن، قطب، ج١، ص٤٠.
(26) الغيب والعقل، إلياس بلكا، ص١٢١.
(27) العقيدة الطحاوية، أحمد بن محمد الطحاوي، شرح: ابن أبي العز الحنفي، تخريج أحاديثها: محمد الألباني، المكتب الإسلامي، ط٨، بيروت، ١٩٨٤م، ص ٤٠٤.
(28) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، ترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩، كتاب الرقاق، باب نفخ الصور، ج١١، ص٣٦٩. من العلماء من يعد النفخ في الصور ثلاث نفخات : نفخة الفزع ، ونفخة الصعق، ونفخة البعث، لكن الأوفق مع منطوق الآية ومفهومها أن النفخ نفختان.

(29) جاءت هذه المشاهد مفصلة في جزء عم.

(30) الغيب والعقل، بلكا، ص ١٢٥.

(31) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت ط ٢ ، ج١، ص٢٢٣-٢٢٤.

(32) الغيب والعقل، بلكا، ص ١٢٦.

(33) في ظلال القرآن، قطب، ج٦، ص٤٤١.

(34) انظر: الغيب والعقل، بلكا، ص ١٢٧.

(35) انظر: الغيب والعقل، بلكا ، ص١٣٠- ١٣٣.

(36) رواه الترمذي في سننه، برقم (٢٢١٧)، وقال: حسن صحيح غريب، وصححه الألباني.

(37) رواه أحمد في مسنده، ج٤، ص٤٤٦.

(38) رواه البخاري في صحيحه، برقم ( ٧٠٩٤).

(39) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة، ، ج٨، ص١٠٩، رقم (٦٥٢١).

(40) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة، ج٨، ١٠٩، رقم (٦٥٢٦).

(41) العقيدة الطحاوية، الطحاوي، ص٢٢٩.

(42) رواه مسلم في صحيحه، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ط، ج١، ص١٨٤.

(43) القيامة الكبرى، عمر الأشقر، ص: ١٩٣.

(44) رواه الترمذي في سننه، باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد، ج٢، ط،٢٦٩، رقم (٤١٣).

(45) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الديات، باب قول الله تعالى: "ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم "( النساء:٩٣)، ج٩، ص٢، رقم (٦٨٦٤).

(46) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب، ج٨، ص١١٢، رقم (٦٥٣٧).

(47) القيامة الكبرى، عمر الأشقر، ص ٢٢٥.

(48) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغضب، باب قوله تعالى : " ألا لعنة الله على الظالمين "، ج٣، ص١٢٨، حديث رقم (٢٤٤١).

(49) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، بدون باب، ج٤، ص٢٢٧١، رقم(٢٩٦٨).

(50) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، ج٤، ص١٩٩٧، رقم (٢٥٨١).

(51) رواه أحمد في مسنده، أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: أحمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، مسند أبي هريرة، ط ١، ١٩٩٥م، ج١٤، ص٣٦٤.

(52) التذكرة في أحوال الموتى و أمور الآخرة، محمد بن أحمد القرطبي، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، د ط، د ت، ص٢٥٥.

(53) انظر العقيدة الطحاوية، الطحاوي، ص٤١٧. وقد أنكرت المعتزلة الميزان وقالوا: هو كناية عن العدل، غير أن مذهب أهل السنة والجماعة إثبات الميزان على الحقيقة، وأنه غير العدل. انظر: القيامة الكبرى، الأشقر، ص ٢٤٧- ٢٤٩.

(54) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، القرطبي، ص ٣٠٩.

(55) القيامة الكبرى، الأشقر، ص ٢٥٤.

(56) رواه أحمد في مسنده، مسند عبدالله بن عمرو بن العاص، ج١١، ص٦٣٧، رقم (٧٠٦٦).

(57) رواه أحمد في مسنده، مسند عبدالله بن مسعود، ج٧، ص٩٩، رقم (٣٩٩١).

(58) القيامة الكبرى، الأشقر، ص ٢٥٧.

(59) المرجع السابق، ص ٢٥٧.

(60) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب في الحوض، ج٨، ص١٢٠، رقم (٦٥٨٣).

(61) العقيدة الطحاوية، الطحاوي، ص ٤١٥.

(62) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الأهوال، ج٢، ص٤٠٨، رقم (٨٧٥١).

(63) القيامة الكبرى، الأشقر، ص٢٧٣-٢٧٤.

* * *